المحاضرة السابعة (7)
وإذا جئنا إلى العاطفة فإننا نجد عاطفة صادقة مزيج من الحزن الذي وصل إلى حد النواح، والمفاخرة، والتعداد لمناقب الفقيد، وذكر محاسنه، فمزجت بين العاطفتين، عاطفة الحزن، وعاطفة الحب تقول في هذه الرائية الرائعة:
قذى بعينيك أم بالعين عوار
أم ذرفت إّذ خلت من أهلها الدار

كأن عيني لذكراه إذا خطرت
فيض يسيل على الخدين مدرار

تبكي لصخر هي العبرى وقد ولهت
ودونه من جديد الترب أستار

تبكي خناس فما تنفك ما عمرت
لها عليه رنين وهي مفتار

تبكي خناس على صخر وحق لها
إذ رابها الدهر إن الدهر ضرار

سؤال واستفهام " قذى بعينيك أم بالعين العوار أم ذرفت إذ خلت من أهلها الدار"
قيل أنه لقلة الدموع، والظاهر لكثرة الدموع لأن العين إذا أصابها عور

أو وقع بها قذى فإنها تهمل بالدمع . ثم تشبيه " كأن عيني لذكراه إذا خطرت فيض يسل على الخد مدرارٌ " بالسيل الفائض ولم تقل مطرا أو ماء لأنهما قد يكونا غزيرين وقد لايكونا. بينما السيل من أقوى وأكثف أنواع المياه جريا ونزولا ، ولذلك ربنا سبحانه وتعالى وصف العذاب بقوله " وأرسلنا عليهم سيل العرم " بينما في المطر والماء، قال " هو الذي انزل من السماء ماءً ليطهركم به " . ولم تكتفي بالسيل بل هو فائض لكثرة سيلانه وجريانه وعدم انقطاعه . وهذا البكاء على خديها من أجل من تقول

تبكي لصخر وهي العبرى وقد ولهت ودونه من جديد الترب أستار

من أجل صخر فهي العبرى، أي بمثابة الأم الجزعة على ولدها، ومع ذلك تتهم نفسها بالقصور حيث تقول:

تبكي خناسٌ فما تنفك ما عمرت

لها عليه رنين وهي مفتار

تقول : إنها ستبكي على صخر ما عاشت وبقيت على قيد الحياة، ولكنها ما زالت مقصرة عن إيفائه حقه.

إنها العاطفة الصادقة التي تنبض بالحزن والأسى، وتتدفق بالوعة على فراق أعز الناس.